On Line
walid.abdelhady@fart.bu.edu.eg

جامعة بنها
BENHA UNIVERSITY
www.bu.edu.eg

أدب عباسى

دكتور/ وليد أحمد سمير
أستاذ الأدب العربى المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب– جامعة بنها

الفرقة الثالثة تعليم أساسى– قسم اللغة العربية– كلية التربية

الفصل الدراسى الثانى ٢٠٢٠/ ٢٠٢١م – المحاضرة رقم (٨)

Learn Today ... Achieve Tomorrow

فن المقامة

استعملت كلمة "مقامة" منذ العصر الجاهلى للدلالة على المجلس،أو مَن يكونون فيه، ثم أصبحت فى العصر الإسلامى تستعمل بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بين يدى خليفة أو غيره ويتحدّث واعظاً، ومن هنا دخل فى معانها الحديثُ، وبمرور الزمن أصبحت الكلمة تدل على المحاضرة، أو على حديثِ الشخص فى المجلس سواء أكان قائماً أم جالساً، ويعدّ بديع الزمان الهمذانىّ أوَّل مَن أعطى كلمة "مقامة" معنىً اصطلاحياً بين الأدباء، حينما وصف بها أحاديثه فى الجماعات.

وتضاغ المقامات فى شكل قصص قصيرة، يتأنّق بديع الزّمان فى ألفاظها وأساليبها، ويتخذ لها جميعاً راوياً واحدً هو عيسى بن هشام، كما يتخذ لها بطلاً واحداً هو أبو الفتح الإسكندرىّ، الذى يظهر فى صورة شحاذ، غير أنه يتصف بفصاحة الخطاب.

بديع الزمان الهمذانىّ

هو أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني، وكنيته أبو الفضل، ينتسب إلى أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة استوطنت همذان وبها ولد فنسب إليها، وقيل إن الثعالبى هو الذى منحه هذا لقب (بديع الزمان).

وقد خرج من همذان سنة ٣٨٠هـ قاصداً الرَّى فاتصل بالوزير الصاحب بن عباد، ثم انصرف عنها إلى نيسابور سنة ٣٨٢هـ فشجرت بينه وبين أبى بكر الخوارزمى معركة أدبية، انتصر فيها عليه.

وقد مرّ بنا أن حدة الصنعة اللفظية قد تزايدت عند أصحاب مدرسة السجع والبديع والذى كان رائدها الوزير والكاتب ابن العميد، وكانت هذه الصنعة أشد وطأة وأكثر تكلفاً مما نجده عند ابن العميد وأصحابه، وعلى هذا اشتدت موجه الصنعة مع ظهور المقامات، وهى نثر قصصى يغلب عليه التأنق اللفظى والتزيين البديعى، ويبدو أن موهبة بديع الزمان القصصية فى تدبيج رسائله هى التى أهلته لابتكار هذا الفن الجديد، أعنى فن المقامات.

مقطع من المقامة (القريضية) لبديع الزمان– والقريض: الشعر (حفظ)

وهي حكاية أو قصة قصيرة ترتكز على الحوار بين بطل مقامته أبى الفتح الإسكندرى، وراوية مقاماته عيسى بن هشام، ويتميز الحوار فى المقامات بالقصر فى أغلب الأحيان، ويعتمد فيه بديع الزمان على حشد عبارات السجع والبديع، وفى مقامته القريضية يقول:

"حدثنا عيسى بن هشام قال: طَرَحتنى النَّوى مَطَارِحَها، حتى إذا وطئتُ جُرجانَ الأقصى، فاستَظْهَرتُ على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفتها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذهم صَحَابة، وجعلتُ للدار حاشيتى النهار، والحانوتِ ما بيتهما

فجلسنا يوماً نتذاكرُ الشعرَ والشعراء، وتلقاءَنا شاب قد جلس غيرَ بعيد، يُنصِت وكأنَّه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى إذا مال الكلامُ بنا مَيْلَهُ، وجرَّ الجَدلُ فِينا ذَيلَهُ. قال: أصبتم عُذيقة، ووافيتم جُذَيله، ولو شئتُ للفظت فأفَضْت، ولو أردت لسردت، ولجاءت الحقّ فى معرض بيان يُسْمعُ الصُّم، ويُنْزِل العُصم.

مقطع من المقامة (القريضية) لبديع الزمان– والقريض: الشعر

فقلت: يا فاضل، ادْنُ فقد منَّيتَ، وهاتِ فقد أثنيتَ، فدنا وقال: سَلُونى أُجِبْكُم، واسْتَمِعُوا أُعجِبْكُم.

قُلنا: فما تقول فى امرئ القيس؟ قال: هو أول من وقفَ بالديار وعَرصَاتِها، واغْتَدى والطَّيرُ فى وُكُناتِها

ووصفَ الخيلَ بصفاتِها، ولم يقلْ الشعرَ كَاسِباً، ولم يُجْدِ القولَ رَاغباً، فَفَضلَ مَنْ تَفتَّقَ للحِيلة لسانُه، وانتجع للرغبة بنانُه.

- معانى المفردات والتعليق العام:

- طرحتنى: رمتنى. النَّوى: الغربة. وطئت: نزلت. جرجان: مدينة فارسية كانت عاصمة لخوارزم. الأقصى: الأبعد. استظهرت: استعنت. ضياع: أملاك من الأراضى المُغِلَّة أو المُثمرة. أجلت: حرَّكت. وقفتها: جعلتها خاصة، حانوت: دكان. مثابة: مكان الإقامة. حاشيتى النهار: فترة ما بين الليل والنهار.

يروى أنه نزل بأرض جرجان واستعان على هذه الغربة بما كان يملكه من ضياع استغلها فى البناء تارة، وفى البيع للتجارة تارة أخرى، وأنه قد حصل على دكان وأصبح له رفقة يجالسهم فى مسائل الشعر والشعراء، وهذا هو موضوع المقامة (فن القريض أو الشعر).

- معانى المفردات والتعليق العام:

- تلقاءنا: أمامنا. مال الكلام: ابتعد عن الصواب. الجدل: حدّة النقاش. عذيقه: العِذق: النخلة بحملها والتصغير هنا للتعظيم. جذيله: الجذل: شجر بلا ثمر. أفضت: أطلت. لجاءت الحق: لأظهرت الحق. العصم: مؤنث عصماء –من عيون الشعر- القصيدة الممتازة.

يريد أنه جلس مع رفاقه للمسامرة والنقاش حول الشعر والشعراء، وأمامهم شاب يجلس بالقرب منهم، يستمع إليهم بوعى، ويدّعى أنه لا يعلم، حتى إذا ابتعدوا فى حديثهم عن الصواب ودبّ بينهم الجدل، تدخَّل الشاب، فقال لهم لقد جانبكم الصواب أحياناً، وجانبكم الخطأ أحياناً أخرى، ولو شئتُ لأفضت فى الحديث بما يعجبكم.

- معانى المفردات والتعليق العام:

- عرصاتها: جوانبها. وكناتها: أعشاشها. فضل: أى تفوَّق. تفتَّق: تفتح. والمراد تفتَّق باحيلة: أى أحسن فى بيانه. انتجع: قصده بطلب معين.

يريد أن الشاب طلب منهم أن يسألوه عمّا يحيرهم فى أمور الشعر وأهله، فقهو قادر على التكلم فى كل شاردة وواردة وأن ياتيهم بالحق، فسألوه عن امرئ القيس الشاعر الجاهلى فأجابهم بما يؤكد درايته التامة بشعره وموضوعاته وأساليبه، فهو او لمن اغتدى أى خرج للرحلة فى الصباح الباكر والطير فى أعشاشها، ووصف الخيل بصفاتها العربية المعروفة، ولم يقل الشعر بغرض التكسب، إذ كان أميراً، كما كانت تواتيه لألفاظ طواعية أو عفواً فلم يكن يتعمد الإجادة أى أنه أجاد عن غير قصد، واستوى على عرشش البيان دون جهد.

- معانى المفردات والتعليق العام:

وواضح إشارات الفتى الذى سيتضح فى نهاية المقامة أنه البطل (أبو الفتح الإسكندرىّ) أنه خبير بشعر امرئ القيس، فقوله (اغتدى والطير فى وكناتها) إشارة إلى قول امرئ القيس:

(وقد أغتدى والطير فى وكناتها ** بمنجرد قيد الأوابد هيكل)

وفى قوله (وصف الخيل بصفاتها) إشارة إلى قول امرئ القيس:

(مكر مفر مقبل مدبر معاً ** كجلمود صخر حطه السيل من عل)